كتاب مجلة " كلمة حق " (٦)
هدية العدد (١٧) من مجلة " كلمة حق " ديسمبر - ٢٠١٨

مختصر كتاب

حرب بلا قتال

محمد عبد الحميد

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في "مجلة كلمة حق " بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة
كلمة حق

مقدمة

بالرغم من أن الحرب النفسية عرفت منذ القدم إلا أن أصولها من الناحيتين العلمية والفنية لم تتضح إلا إبان الحرب العالمية الأولى خاصة بعد ظهور علم النفس وبدء تطبيق هذا العلم بأبحاثه المنهجية في مضمار حياتنا، وخلال الحرب العالمية الثانية استخدمت أساليب الحرب النفسية على أوسع نطاق، وأنشأت الدول المتحاربة هيئات إستراتيجية وتكتيكية للقيام بتوجيه الحرب النفسية في مختلف الميادين.

وأصبحت الحرب النفسية في العصر الحديث أحد ميادين الصراع بين الدول إلى جانب الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية، واتسع نطاق استخدامها بشكل لم يسبق له مثيل.

ولو تعمقنا في الدوافع الحقيقية لهذا الاهتمام بالحرب النفسية، لوجدنا أن الأمر سيكون أعظم فعالية وأكثر اقتصاداً إذا تم نزع سلاح العدو بلاً من محاولة تدميره بالقتال العنيف، إذ إن قتل رجل في أدنى مستويات الحرب يعني فقدان جندي واحد من العدو، بينما إفقاد رجل لأعصابه يعني نشر عدو الخوف بدرجة كبيرة قد تتحول إلى وباء من الذعر، كما أن التأثير الذي يتسلط على قائد الخصم قد يشل مقدرة قواته كلها على القتال؛ لأنه بينما تتمثل القوة الاعتبارية لأي دولة في تعداد سكانها وحجم مواردها فإن تطور هذه القوة يعتمد على سلامة حالتها الداخلية وجهازها العصبي وروحها المعنوية، فإذا تم اتباع الوسائل التي تحقق إخلال توازن الأعضاء سيكولوجياً سيتم حتماً انهيارها.

فالتأثير السيكولوجي يمكن أن يتدخل في الإرادة والعزم والتصميم فيجعل الشخص واهن القوى قليل الجهد ضعيف التصميم، ويمكن أن يتدخل في الإدراك فيجعل الشخص يدرك إدراكاً مشوهاً يرى أشياءً لا وجود لها إلا في الخيال، بل ويتعامى عن إدراك أشياء موجودة بالفعل، ويمكن أن يتدخل في التفكير السليم بل قد يجعله عاجزاً عن التفكير تماماً.

والحرب النفسية حرب شاملة، بمعنى أنه لا يمكن أن تنصبّ فقط على القوات المسلحة في الدولة، بل تمتد وتشمل جميع أفرد الشعب مدنيين وعسكريين.. كما أنها حرب متصلة ومستمرة في زمن الحرب والسلم على السواء، وتتغلغل في جميع شئون الدولة ومرافقها سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو التربوية، بمعنى أن التمهيد السيكولوجي غير محدد لفترة معينة بل هو عمل مستمر متصل ومسرحها نفسية الفرد، لذلك فهي لا

تبدأ من فراغ، بل تحتاج إلى ركائز من الدراسات المختلفة للشعب الذي ستوجه إليه، طريقة التفكير والآراء والانفعالات والميول والهوايات وجوانب النبذ والكره، وما يطرأ على نفسية الأفراد من مخاوف وما يتردد على ألسنة بعضهم من أقوال، ونقط الضعف فيهم، وجوانب النقص التي يشعرون بها، والأحوال المعيشية لهم من حيث درجة التعليم ومن حيث الأفراد المؤثرين بشخصياتهم في آراء الأغلبية.

والحرب النفسية هي معلومات أو أفكار أو مذاهب أو نداءات خاصة. تُنشر أو توزع لتؤثر في آراء ومعتقدات وانفعالات واتجاهات وسلوك فرد أو جماعة أو شعب بأكمله دون استعمال العنف لكي يستفيد الجانب الذي يوجهها بشكل مباشر أو غير مباشر.

والحرب النفسية لا شأن لها ولا علاقة لها بالتنويم أو ما يشابهه من أعمال غيبية، وهي ليس استعمالاً لسلاح سري كما أنها لا تعتمد على أسلحة مادية، فهي تلعب دورها أمام الجميع، ووسائلها هي الدعاية والأخبار الكاذبة والشائعات والفكاهات، وتنقل من خلال وسائل معروفة هي الإذاعة والمطبوعات المختلفة من صحف وكتيبات ونشرات والأفلام السينمائية والتلفزيونية وحملات الإشاعة المدبرة.

ومهام الحرب النفسية هي النقاط الأساسية التي تنظم عليها جميع عمليات هذه الحرب، وهذه المهام هي:

1- إنتاج تأثيرات متراكمة في آراء وانفعالات واتجاهات وسلوك الأفراد.

2- تفتيت وحدة الدولة.

3- الإساءة إلى سمعة الدولة في المجالات الدولية.

4- التأثير على الروح المعنوية للشعب عن طريق:

أ- زعزعة ثقة الشعب في زعمائه وقادته بالتشكيك في مقدرتهم وإخلاصهم.

ب- بذر الشقاق والتفرقة بين طوائف الشعب وفئاته المختلفة بقصد الوقيعة بينهم

ج- إثارة الأقليات ودفعها للتمرد.

د- تحريض الحركات والمذاهب والعقائد لمقاومة السلطة.

هـ- زعزعة ثقة الشعب في الجيش وبإمكانية تحقيق النصر أو الصمود أمام الأعداء

5- التأثير على الروح المعنوية للجيش عن طريق:

ا- إنقاص كفاءة القتال لدى أفراد القوات المسلحة.

ب- إضعاف معنويات الجنود والتأثير على مقدرتهم القتالية، عن طريق بث روح الهزيمة والتخاذل، وتشجيعهم على الهرب أو التمارض.

ج- التأثير على تفكير الجنود ومعنوياته، للوصول بهم إلى حالة تؤثر بطريقة مباشرة على سير المعركة كالفتنة أو التمرد.

د- تشكيك الجنود في شرعية القتال، وإضعاف حماسهم له.

هـ - المبالغة في تصوير قوة العدو وإمكانياته وتسليحهم.

و- تشكيك الجنود في قادتهم وتسليحهم وتدريبهم.

الشائعة بطبيعتها تعتمد في انتشارها على عملية الإيحاء النفسي الذي يكسر مقاومة متقبل الشائعة، ويسهل عليه مأمورية تصديقها وإذاعتها.

وهناك نوع أساسي من الإيحاء هو إيحاء الأغلبية، فكل فرد يميل إلى تصديق ما تجمع عليه أغلبية أفراد مجتمعه.. وقد دلت بحوث كثيرة على أثر هذا النوع من الإيحاء، ولعل في انتشار الشائعة بين عدد كبير من الأفراد ما يدعمها ويزيد من قابلية انتشارها بدرجة كبيرة. وتنتشر الشائعات بنوع خاص في أوقات الأزمات حينما يختل الاتزان الانفعالي للفرد، وحين يدفعه هذا الاختلال إلى عدم التمييز بين ما يتردد، ليفرق بين المعقول وغير المعقول.

الرعب قبل الحرب

كان جنكيز خان يستخدم جواسيس عدوه كوسيلة لإرهاب جنود العدو أنفسهم، فما أن يقع واحد من هؤلاء الجواسيس في أيدي رجاله حتى يعرض عليه صورة مذهلة لقوة جيشه من حيث العدد والعدة والشراسة في الحرب، ثم يطلق سراحه بعد ذلك ليعود إلى بلده فيروي لقادته بنفسه.

ولمّا كانت الدعاية التي تأتي من الخارج تلقى بطبيعتها مقاومة من أفراد الجماعة، فإن الدعاية التي تتردد من أفواه الشعب نفسه أو الشائعات التي يروجها، لا بد وأن تقل المقاومة لها مهما تضمنت من مغالطات ومفارقات.

تدمير محطة برلين

في عام 1491 كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها، بذلت القوات البريطانية جهوداً متكررة لتدمير محطة السكة الحديدية الرئيسة في برلين، فسارع الألمان بنشر تقارير غير مؤكدة توحي بأن الإنجليز قد نجحوا فعلاً في محاولاتهم لتدمير المحطة، وعندما وصلت هذه الأخبار بريطانيا اعتبرها الإنجليز تأكيداً لنجاح محاولاتهم فأذاعوا هذا الخبر من إذاعتهم، وحينئذٍ سارعت وزارة الدعاية الألمانية فدعت مراسلي الصحف الأجانب لزيارة المحطة.

وكان هدف وزارة الدعاية الألمانية من هذه الحيلة الذكية كشف كذب الإذاعة البريطانية أمام الرأي العام العالمي، فتفقد هذه الإذاعة ثقة المستمعين في كل ما تقدمه لهم. ثم التشكيك أيضاً في مقدرة الإنجليز العسكرية بوجه خاص.

ذلك النوع من الشائعات يسمى شائعات الأمل، والتي فيها يصادف الفرد فيها ما يتفق مع آماله وأمانيه من أخبار كاذبة، ولهذا سرعان ما صدقتها بريطانيا.

بعد أن تحقق النصر المؤكد للمسلمين في غزوة بدر الكبرى، أطلق عبد الله بن أبي سلول مجموعة من المنافقين تشيع بين المسلمين أن محمداً يأمر غيره بالإعراض عن متاع الدنيا، بينما ينفق هو أموال المسلمين على طعامه وشرابه وأثاث بيته. وانتشرت شائعة المنافقين وبدأ الهمس ينتقل على شفاه المئات ممن سمعوا تفاصيلها.

التشكيك في الزعماء والقادة من الأساليب الأساسية في الحرب النفسية ذلك أن الزعيم

أو القائد يعتبر رمزاً لقوة الجماعة وممثلًا لها، فإذا اختلفت صورة هذا الرمز في عيون الأفراد ضاع حماسهم وضعف ولاؤهم للجماعة، وتزعزع إيمانهم بالرسالة التي تهدف إليها الجماعة. ولكن فطنة النبي صلى الله عليه وسلم جعلته يتغلب على هذا الأسلوب في الوقت المناسب، بل إن شخصيته المتكاملة وسلوكه المنطبق على أقواله وأخلاقه التي لا تتعارض مع ما ينصح به، كان إفشالاً لأسلوب الحرب النفسية.

حقيقة الخاسر

حدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن أخذت أجهزة الدعاية والإعلام اليابانية تروج أخباراً مبالغاً فيها عن خسائر الأمريكيين في الاشتباكات البحرية. وأحست الحكومة الأمريكية بأن إذاعة هذه الأنباء خلقت موقفاً معقداً داخل الولايات المتحدة، وأحدثت تأثير سيئاً في معنويات الشعب الأمريكي، فلم يسع الحكومة الأمريكية أمام هذا الموقف الخطير إلا أن تطمئن جماهيرها وترفع من روحهم المعنوية، فتصورت أن نشر الحقائق عن خسائرها هو العمل المضاد الوحيد لإفساد هذه الخطة اليابانية المدمرة.

وكان هذا بالضبط ما أراده اليابانيون للوصول إليه، فلقد كانوا حتى ذلك الوقت لا يعرفون حقيقة خسائر أعدائهم الأمريكيين.

جـواز مرور شـرعي

كان بعض قادة جبهة الحلفاء في أوربا خلال الحرب العالمية الثانية لا يتفقون مع الجنرال أيزنهاور على أن الحرب النفسية لها كل هذه الأهمية التي يضيفها هو عليها، وحدث ذات مرة أن سأله أحد قادته في تهكم:

- سيدي الجنرال: هل تقتل الحرب النفسية جنود الأعداء؟!

وكان الجنرال أيزنهاور مشغولاً مع بعض معاونيه في صياغة منشور يعد لإلقائه على معسكرات الجنود الإيطاليين والألمان في شمال إفريقيا، وقد جاء في هذا المنشور:

”هذا جواز مرور شرعي يسمح لحامله أياً كانت جنسيته بالمرور في خطوط الحلفاء، ويعطيه الحق في الأمان وكل ما تفعله هو أن تبرزه لمن يطلب من ذلك“.

وكان هذا المنشور مطبوع على ورق مقوى حتى يستطيع صاحبه أن يحتفظ به أطول مدة ممكنة.

وبعد إلقاء هذا المنشور بثلاثة أيام تقاطر على معسكرات الحلفاء عدد من الجنود الألمان والإيطاليين، يطلبون السماح لهم بالإقامة بينهم بعد أن سلموهم أسلحتهم، فأخذتهم قيادة الحلفاء واعتبرتهم أسرى حرب.

وعندئذ التفت أيزنهاور إلى القائد الذي سأله في تهكم عن أهمية الحرب النفسية، قائلاً: صديقي الضابط.. أليس الجندي الذي يستسلم مثل الذي يقتل تماماً؟
تبين هذه القصة الأثر البالغ الذي يمكن أن تحدثه الحرب النفسية.

فقد بينت التجارب أن التأثير السيكولوجي يمكن أن يتدخل في الإرادة والعزم والتصميم، فيجعل الشخص واهن القوى قليل الجهد ضعيف التصميم، ويمكن أن يتدخل في الإدراك فيجعل الشخص يدرك إدراكاً مشوهاً ويرى أشياءً لا وجود لها إلا في خياله، بل ويتعامى عن إدراك أشياء موجودة بالفعل، ويمكن أن يتدخل في التفكير فيشله ويجعل الشخص غير قادر على التفكير السليم، بل قد يجعله عاجز عن التفكير تماماً، كما بينت البحوث أن الآثار النفسية في كثير من الأحيان قد ينتج عنها أمراض عضوية خطيرة.

أمهر الرماة

جاءت الأنباء إلى ((بهرام جور بن يزدجرد)) ملك فارس بأن جيشاً من جيوش الأعداء قد استولى على إحدى المقاطعات التابعة له، فسكت ولم يعر الأمر اهتماماً كبيراً فغضب وزراؤه وتذمر الشعب.
وبعد أيام دعا إليه ثلاثة من أمهر الرماة في جيشه وأمرهم أن يذهبوا إلى ناحية قريبة من المنطقة المحتلة بعد أن يرتدوا ملابس صيادي الريف الفقراء وألا يتركوا طيراً ولا حيواناً إلا أوقعوا به. وبينما كان الرماة يقومون بمهمتهم رآهم جنود الأعداء وسألوهم عن سبب تقاعس جيش الملك بهرام عن الخروج إليهم بعد أن احتلوا هذا الجزء الهام من بلاده؟

أجاب الصيادون أن بهرام يمتلك جيشاً كبيراً من أمهر رماة فارس.. فسألهم الجنود وهل في فارس من هو أمهر منكم في الرماية؟ لقد شاهدنكم وأنتم ترمون الطير والحيوان فما رأيناكم تخطؤون الهدف مرة واحدة! فقال الصيادون لو كنا في مستوى رماة جيش بهرام لما تحملنا كل هذه المشاق في سبيل الحصول على طعامنا يوماً بيوم.

وما أن سمع الجنود هذا الكلام حتى امتلأت قلوبهم بالفزع فطلبوا إلى قائدهم أن يسرع بالعودة بهم فوراً وإلا انسحبوا جميعاً وتركوه بمفرده.

في هذه القصة يتضح أمران:

أولهما: أن الدعاية تنجح عندما تأتي بطريق غير مباشر ويمكن تصديقها لأنها تبدو بعيدة عن الأهداف الواضحة للعدو.
أما الأمر الثاني: فهو التوقيت فإن توجيه الدعاية ينبغي أن يكون في الوقت المناسب وإلا ضاع تأثيرها وقلت فعاليتها.

هربوا من قـراهـم

حاول الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية ترويج كل شائعة لبلبلة عقول الفرنسيين، وتهيئتها لتصديق كل شيء. وطوال الاضطراب الذي سببه الهجوم الألماني على فرنسا كان كثير من الفرنسيين وصلوا إلى درجة من الحيرة والقلق لا يستطيعون معها أن يميزوا بين ما هو صادق وما هو كاذب.

وانتشرت الشائعات تزعم أن الألمان قادمون، وبدأ سكان القرى يهربون من قراهم على غير هدى وفي كل اتجاه، معرقلين تقدم وحدات الجيش الفرنسي التي كانت تسعى إلى مواجهة الجيش الألماني.

والعدو خلال الحرب يحاول تفتيت الجبهة الداخلية التي تحمي ظهر القوات المسلحة حتى يسهل عليه تحقيق ما يريده، إذ إن أي دولة تنهار الروح المعنوية للمدنيين فيها تخسر الحرب. فالشائعات التي هي إحدى أسلحة الحرب لها دائماً أثر فعال سواء كان ذلك في وقت الحرب أو في وقت السلم إلا أن أثرها في وقت الحرب يكون مزدوجاً.

البرنامج المفضل

في الحرب العالمية الثانية خصصت محطة الإذاعة البريطانية برنامجاً موجهاً إلى الشعب الألماني باللغة الألمانية مدة إرساله اليومي ساعتان، وتعمدت أن تكون المواد المقدمة في هذا البرنامج من التي يفضل الشعب الألماني سماعها، وكان مقدم البرامج يذيع أسماء مواطنين بريطانيين على أنهم من عشاق هذه المواد الألمانية وأنهم يلحون في طلب سماعها حتى يتصور الألمان أن الشعب الإنجليزي لا يضمر كراهية لهم بدليل أنه يحب فنونهم.

وحرصت الإذاعة البريطانية خلال هذا البرنامج ألا تقحم أية مواد سياسية أو إخبارية، بل

تكتفي بإجراء حوار سريع مع مستمع إنجليزي يبدي إعجابه الشديد ويتمنى في النهاية أن تنتهي الحرب ليسافر إلى ألمانيا ويستمتع هناك بأوجه النشاط الفني المختلفة.

وفي هذا إستنتاج ضمني أننا بطبيعة الحال لا نضمر الشر لكم ولا نريد لكم إلا ما يريده الأخ لأخيه، ذلك إستنتاج ضمني غير صريح ولو ذكرته الإذاعة البريطانية صراحة لكان ضعيف الأثر قليل الجدوى وإنما تركت الألمان ليصلوا إلى هذه الحقيقة بأنفسهم.

صحف مزيفة

كان الحلفاء يوزعون على الجنود الإيطاليين ألواناً من الصحف التي تشبه الصحف الإيطالية تماماً من حيث التحرير والإخراج والإعلان والطباعة، وهي صحف زائفة، تتضمن أخباراً كاذبة وأيضاً أخبار صحيحة.

وقد اعتمدت الدعاية على فكرة أساسية وهي أن الأخبار التي تصدر عن نفس الجماعة تكون أكثر قابلية للتصديق من الأخبار الصادرة عن العدو.

ومن أهم ما يقلق الجندي في ساحة القتال شعوره بأن الأمن الداخلي غير مستتب، وأن هناك تمرداً داخلياً في أي قطاع من القطاعات.

بلاط الشهداء

من معارك التاريخ المشهورة التي وقف بعدها تقدم المسلمين في أوروبا معركة تور أو معركة بلاط الشهداء، فقد استشهد فيها القائد المسلم الشجاع البطل عبد الرحمن الغافقي، وقد دارت هذه المعركة في جنوب غربي فرنسا بين المسلمين والفرنسيين.

بدأت بوادر الهزيمة عندما فزع المسلمون لإشارة ترددت بينهم تقول إن بعض الفرنسيين قد تسللوا إلى مؤخرتهم وأخذوا ينهبون خيامهم ويعتدون على من فيها من النساء، فكان أن ترك الفرسان المسلمون الميدان ليحموا خيامهم، وظن بقية الجيش أنه توجد رغبة في التقهقر فاقتدت بالفرسان، وبذلك خسر المسلمون تلك المعركة بعد أن كانت لصالحهم في البداية.

صور ملونة

أثناء الحرب العالمية الثانية كانت القوات اليابانية منتشرة في أكثر من موقع من المواقع الإستراتيجية، كان خطرها يأتي من ارتفاع روحها المعنوية التي كانت تتسلح بها أثناء القتال. فرأت قيادة الحلفاء ضرورة استخدام أسلوب حاسم من أساليب الحرب النفسية تنجح به في تحطيم الروح المعنوية العالية لدى الجنود اليابانيين، فكان أن عمدت إلى إلقاء صور ملونة عن الأغذية الشهية على الجنود اليابانيين الذين كانوا يحاربون في جبهة شمال بورما وهم يعانون من نقص كبير في مؤنتهم من الطعام.

كما ألقت كذلك وفي نفس الوقت على الفرقة اليابانية التي كانت تحارب في ميدان جنوب غرب الباسيفك رسوماً كاريكاتيرية تصور الجندي الياباني وهو يعاني آلام الغربة والحرمان وأخطار الحرب، وتصور قادته يستمتعون بأرقى أنواع الخمور وأفخر وجبات الطعام. وكانت قيادة الحلفاء تسجل في نهاية كل منشور من هذه المنشورات عبارة موجهة إلى الجندي الياباني تقول فيها: مسكين أنت أيها الجندي الياباني لأنك تضحي بنفسك في سبيل قضية خاسرة.

لجنة هدنة

أذاعت وحدة الدعاية الألمانية على الفرنسيين عام 0491 نبأ يقول: "إن لجنة هدنة فرنسية في طريقها الآن لتوقيع الهدنة مع السلطات الألمانية".
وكان لهذه الإذاعة أثر هدّام للروح المعنوية للفرنسيين، فقد ناقش الجنود الفرنسيون الأمر على أساس لماذا نحارب اليوم فنتعرض للموت إذا كانت الحرب ستنتهي غداً.
ولذا تحطمت المقاومة وأمكن للألمان في النهاية هزيمة الفرنسيين.

من أهم أهداف الحرب النفسية إشعار الجنود دائماً بأن الهدف الذين يحاربون من أجله أصبح مستحيلاً أو دونه عقبات لا يمكن تخطيها، إلى جانب تسخيف الهدف في نظر الجنود عن طريق المغالطات المنطقية فتناقش الدعاية مشروعية القتال وتبين للجنود أنهم إنما يبذلون أرواحهم لفكرة غير شرعية أو صعبة التنفيذ.

ليسوا محاربين

استعان التتار في غزو بلاد المسلمين بطريقتين كانتا أشد أثراً على المسلمين من الجيوش المحاربة فعلاً.

الطريقة الأولى: كانت إرسال مجموعة كبيرة من العملاء تدخل البلد التي يريدون غزوها وتشيع بين الناس قصصاً مخيفة عن التتار وعن المصير المرعب الذي يلاقيه كل من يفكر في مقاومتهم، وكانت هذه القصص تفعل فعلها ببطء في النفوس فلا يكادون يسمعون باقترابهم حتى يرحل أكثرهم عن البلاد ويتركونها للقلة التي لم تتأثر بما سمعت من القصص وصممت على القتال حتى النهاية.

أما الطريقة الثانية: تتلخص في حشد عشرات الألوف من الناس غير المحاربين وإظهارهم بمظهر الفرسان المحاربين وإذا كانت القوة الحقيقية للجيش المغولي هي خمسة آلاف مقاتل فإن ما يراه أعداؤهم لا يقل عن مائة ألف أو مأتي ألف يحسبونهم جميعاً مقاتلين، وعندئذ يفكر المدافعون عن المدينة مرتين قبل أن يقاتلوا هذا الحشد الهائل، بل إنهم غالباً ما كانوا يسرعون بالفرار قبل المعركة.

ولكن جند الإسلام في مصر كانوا قد عرفوا هذه الأساليب فلم يتأثروا بها حتى مكنهم الله تعالى ونصرهم على التتار في عين جالوت.

الجواهرجي

ذاعت القصة التالية أثناء زيارة مدام شان كاي شيك لأمريكا في عام 3491. تقول القصة إن رجلاً دخل محلاً لبيع المجوهرات في مدينة بالتيمور وطلب شراء ساعة ثمنها 005 دولار ولم يكن الجواهرجي يبيع سلعاً بمثل هذا الثمن المرتفع، ولكنه استطاع أن يجمع له عدداً من الساعات يبلغ ثمنها 7000 دولار، وعندما سأله الجواهرجي عن الطريقة التي يسدد بها الثمن قال المشتري إنه سكرتير مدام شان، وطلب منه أن يضيف الثمن خصماً على معونة الإعارة والتأجير!!

وكأن هذه القصة تقول للأمريكيين إن نقودكم تُعطى لغيركم لتصرف في أوجه لا ترضون أنتم صرفها فيها، وفي هذه القصة دعاية ضد الصينيين الذين يستبيحون لأنفسهم صرف

أموال المعونات الأمريكية على تَرَفهم وكأنهم غير محتاجين لهذه المعونة.

الانتقام

في الحرب العالمية الثانية شنت الطائرات الإنجليزية غارات على ليوبك وروشتك من مدن ألمانيا فأحدثت فيهما تدميراً ضخماً وخسائر فادحة، وفي اليوم التالي ألقت الطائرات الألمانية منشورات على المدن الإنجليزية فيها صور للتدمير الذي أحدثته الغارات الإنجليزية. وتحتها تصريح الفوهر في حديثه إلى الرشتاغ بأن الغارات الانتقامية ستأتي؛ فكان لهذه المنشورات فعل كبير لدى الشعب الإنجليزي، وأصبح الجميع في ذعر.

وكان من الممكن أن تقتصر دعاية الألمان على التنديد بآثر الغارات الإنجليزية ولكن الدعاية الألمانية تضمنت صور الغارات الإنجليزية وآثارها، حتى يجد الإنجليز للألمان مبررًا للغارات الانتقامية.

إلى الشام

كانت قبائل بني لحيان بعد أن غدرت بالمسلمين وقتلت منهم عدداً كبيراً عند منطقة الرجيع، تتوقع أن يقوم المسلمون بغزوة انتقامية عقاباً على هذا الغدر، وكان المسلمون فعلاً ينوون القيام بهذه الغزوة، ولكنهم خشوا إن هم أعلنوا ذلك أن يستعد بنو لحيان وأن يستعينوا بغيرهم من القبائل المعادية للمسلمين، فأشاع المسلمون أن جيشهم سيتحرك إلى بلاد الشام لمقابلة أعدائهم هناك، وكان هدف المسلمين من هذه الخدعة هو تحقيق

أمرين رئيسيين:

أولهما إشعار القبائل المعادية بأن الجيش الإسلامي قد أصبح قادراً على مواجهة القوى المسلحة في بلاد الشام، فتضعف معنوياتهم ولا يفكرون في قتال محمد صلى الله عليه وسلم أو التعرض له بأي عدوان.أما الهدف الثاني فكان التمويه من جانب المسلمين حتى يستطيعوا مباغتة بني لحيان وغيرهم من القبائل المعادية الأخرى.

وقد تحقق للمسلمين ما أرادوا، فلم تكد تسمع هذه القبائل المعادية عن عزم المسلمين على غزو بلاد الشام حتى امتلأت قلوبهم فزعاً، إذ أدركوا مدى ما وصل إليه المسلمون من قوة لا قِبَلَ لهم بها، فضعفت معنوياتهم ولم يستطيعوا الصمود أمام الجيش المسلم حين غزاهم وانتصر عليهم.

جثث الموتى

في إبريل 1917 نشرت جريدة التايمز البريطانية نبأ يقول إن الألمان يستخدمون جثث قتلى أعدائهم من الجنود والمدنيين لإطعام الحيوانات وليصنعوا منها سماداً للأرض! وقد أثار هذا النبأ ضجة كبرى في أوربا وخاصة في الأوساط الدينية، كما كان بداية لنشاط حركة تطوعية ضخمة في الجيوش التي تحارب ألمانيا، كما أثار حركة المقاومة وشجعها لأن الناس ضاقوا بما يقوم به الألمان من التنكيل بجثث الموتى.

الرغيف الطازج

في السابع من ديسمبر 1941 قامت القوات الجوية اليابانية بغارة تاريخية على الأسطول الأمريكي الراسي في ميناء بيرل هاربور بالمحيط الهندي، ولم يحدث أن حطم طيران دولة أسطول دولة معادية بأكمله كما حدث في بيرل هاربور للدرجة التي أصبح هذا اليوم في أوروبا يعرف باسم يوم العار.

وفي يناير 1942 اجتاحت الولايات المتحدة شائعات الويل والهلع وكان مضمونها أن خسائر بيرل هابور أعظم بكثير مما صرحت به السلطات الرسمية، الأمر الذي كان يُقوض معنويات الشعب الأمريكي بأسره.

ومن بين الشائعات الساخرة التي راحت في ذلك الحين أنه وجد في جيب أحد الطيارين اليابانيين الذين أسقطوا يوم الإغارة على بيرل هاربور رغيف طازج وقد لف في أوراق أحد مخابز جزيرة هونولولو التي بها قاعدة بيرل هاربور الأمريكية!

حدث للشعب الأمريكي رعب وفزع ما جعله يستجيب لأية دعاية أو شائعة تضخم من قوة اليابانيين وتقلل صورة القوة الأمريكية في نظرهم.

ومن الطبيعي أن تعتمد هذه الدعايات والشائعات على ما حدث كجزء من الشائعات التي تذاع ومن طبيعة الدعاية أن تعمد إلى التهويل فتضخم من وصف ما حدث وتزيد من تقدير الخسارة ومن الطبيعي كذلك ألا تلقي الدعاية أو الشائعات مقاومة ما دامت تتفق مع جزء من حقيقة ما حدث.

وانتشار الشائعات الساخرة أمر طبيعي في مثل هذا الموقف، وعنصر الطرافة فيها يزيد

من قابليتها للانتقال والانتشار؛ فهي تجذب الأسماع لطرافتها وإن كانت تضمن غالباً عنصراً أشد من عناصر التهويل لا يمكن تصديقه أو نشره إذا لم يتوفر عنصر الطرافة.

إذاعة سوان

في صباح اليوم الثامن عشر من شهر إبريل عام 1961 فوجئ أهالي كوبا ببيان ترسله إذاعة تستخدم الموجة القصيرة، معلنة أنها إذاعة جيش التحرير الكوبي، **وكان هذا البيان نداء إلى جيش كاسترو، وقد جاء هذا البيان:**

(لقد حانت الساعة التي يجب فيها عليكم أن تحتلوا مواقعكم الاستراتيجية المشرفة على الطرق والسكك الحديدية، اسجنوا من يرفضون إطاعة أوامركم أو أطلقوا النار عليهم، يا رفاق الحرية هذه فرصتكم لتقديم الدليل على إخلاصكم، يجب أن تظل كل الطائرات جاثمة على الأرض، اعملوا على ألا تقلع طائرة واحدة من طائرات كاسترو، حطموا أجهزتها الا سلكية، حطموا ذيولها حطموا آلاتها).

وبعد إذاعة هذا البيان بثلاث ساعات أذاعت نفس المحطة بياناً آخر جاء فيه:

(يا أهالي هافانا انتبهوا لما نقول، عاونوا جنود جيش التحرير الشجعان، يجب أن تتوقف محطات توليد الكهرباء عن مد المصانع بالكهرباء، فاليوم في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين حينما تصدر الإشارة من هذه المحطة أضيئوا كل الأنوار الموجودة بمنازلكم، ولا تقلقوا فقوات التحرير سوف تستأنف العمل بهذه المصانع قريباً).

وأمام هذه البيانات المتلاحقة كادت الفوضى أن تنتشر بين جيوش الثورة من أتباع كاسترو، لولا أن تحرك القياديون من رجالها وكشفوا للجماهير حقيقة هذه الإذاعة المعادية. لقد كانت إذاعة سوان تابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية!

في هذا البيان الذي أذيع من كوبا إستخدام قاعدة أساسية في الحرب النفسية، وهي أن الأقوال والأفكار التي تصدر من أحد أفكار الجماعة نفسها أو فريق منهم تكون أقوى تأثيراً من الأفكار التي تنقل لهم من الخارج بواسطة شعب آخر أو جماعة أخرى، فإن الدعاية التي تصدر من فريق من الجماعة تكون أقل عرضة للمقاومة.

وإذا فحصنا القطعة الدعائية نفسياً وجدنا أنها ترسم خطة محكمة، وقد بدأت بفقرة هامة

أن الساعة قد حانت لتنفيذ ذلك، أي أن هذه الفرصة موقوته ينبغي ألا تضيع في حينها، كما تتخللها عبارات مثيرة مثل (هذه فرصتكم لتقديم الدليل على إخلاصكم) والإخلاص هو السمة الأساسية التي كان يتسم بها جيش كاسترو.

ولم تترك الدعاية أثره يقتصر على جيش كاسترو، بل وجهت لأفراد الشعب؛ فقد طلبت الدعاية معاونة جيش التحرير، وهو هدف أساسي من أهداف الشعب.

وتحت هذا الإطار فصل البيان أعمالاً يجب عليهم أن يقوموا بها تحقيقاً لهذا التعاون، مثل إيقاف محطات الكهرباء عن مد المصانع بالكهرباء، والهدف هنا بطبيعة الحال إشاعة الإرتباك والفوضى وتعطيل المصالح الهامة وإيجاد الجفوة بين الشعب والجيش، وانقسام الجيش على نفسه، وفي هذا كله تحقيق لأهداف المخابرات المركزية الأمريكية وهي أهداف تتكرر من كل زمان ومكان.

لا يأكلون اللحم

في الحرب العالمية الأولى علمت بريطانيا أن الحكومة الألمانية قد منعت بيع اللحوم ثلاثة أيام في الأسبوع، فعمدت إلى إحدى الصحف البلجيكية وطلبت إليها أن تنشر قصة التذمر بين الجماهير البريطانية؛ لأن حكومتها أصدرت قرار بمنع بيع اللحوم يوم واحد في كل أسبوع، هذه الأخبار لم تكد تنشر في الصحف الألمانية حتى إزداد تذمر الشعب الألماني من حكومته التي تحرمه من تناول اللحوم ثلاثة أيام في الأسبوع بينما لا يحرم منها الشعب البريطاني إلا يوم واحداً فقط ورغم هذا فهو ساخطاً أيضاً.

خداع

أثناء غزوة الخندق التي حاصر فيها المشركون جموع المسلمين داخل المدينة، ذهب الصحابي الجليل نعيم بن مسعود رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه حديث عهدٍ بالإسلام ولم يعلم قومه بإسلامه بعد، وأنه يستطيع أن يقوم بعمل يضعف به معنويات الأعداء؛ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: إنما أنت رجل واحد فخذ عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية، فأفهمهم بأن قريشاً

لو انتصرت فستكون كل المكاسب من نصيبها، ولو انهزمت فستتركهم يواجهون مصيرهم السيء مع المسلمين، ونصحهم نعيم بأن يأخذوا عندهم رهائن من أشراف قريش!

ثم ذهب نعيم بعد ذلك إلى قريش فأخبرهم بأن بني قريظة ندموا على نقضهم العهد مع المسلمين، وأنهم اتفقوا مع محمد صلى الله عليه وسلم على أن يسلموه عدداً من أشرافكم ليضرب أعناقهم فإياكم أن تبعثوا إليهم بأحد منكم!

وقبيل المعركة أرسلت قريش إلى بني قريظة تطلب منهم أن يستعدوا لخوض المعركة مع المسلمين، فأصر بنو قريظة على عدم الاشتراك في الحرب إلا بعد أن تسلمهم قريش عدداً من أشرافهم ليكونوا رهائن عندهم، وهنا حدثت الفتنة بين الفريقين.

فمن أهداف الحرب النفسية الإيقاع بين الدول الصديقة حتى لا يواجهوا عدوهم كفرد واحد.

سنوافيكم بالأنباء

في الثامن عشر من شهر يوليو عام 1941 كان تشرشل يخطب في اجتماع عام في مدينة مانشستر، وحدث أن قاطعه أحد الحاضرين أثناء خطبته فسارعت الإذاعة الألمانية لتعلن أنه وقع شغب في الاجتماع أدى إلى فضه، ولكي تبرهن على ما أعلنته راحت تذيع أكثر من مرة تسجيلاً صوتياً للمقاطعة بحيث لاحت وكأنها مظاهرة في الاجتماع.

مما جعل الرأي العام العالمي وقطاعاً كبيراً من الرأي العام الإنجليزي نفسه يتصور أن تشرشل فقد مكانته السياسية البارزة لدى مواطنيه.

وهذا يبين بوضوح أن كثيراً من أساليب الدعاية المضادة يوجه إلى رمز القوة في الشعب لزعزعة الثقة في الصورة التي تتكون لديهم عن هذا الرمز؛ فتكون هذه اللحظة هي الفرصة الذهبية لتحقيق الأهداف الهدامة.

أبشروا بالنصر

في غزوة أحد انتهز المشركون فرصة اضطراب صفوف المسلمين فقذفوا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة، وأخذ الدم ينزف من الجراح التي أصابت وجهه الشريف. واستغل المشركون هذا الموقف فأطلقوا بين الناس شائعة خبيثة تقول (ألا إن محمد قد قُتل)؛ فكان لها أسوء الأثر في نفوس المسلمين وفريق منهم ألقى ما بيده من السلاح وعاد إلى

المدينة منهزماً، وفريق آخر وضح نفاقه في هذه المحنة. وطائفة ثالثة ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الموت.

وفي وسط هذه المحنة التي واجهها المسلمون ارتفع فجأة صوت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: ((يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم)). فأقبل المسلمون على ندائه وقد تجددت عزائمهم بعد أن علموا بحياة قائدهم العظيم صلى الله عليه وسلم، وأيقنوا أن شائعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت إرجافاً من المشركين لتثبيط عزائمهم، وغلت مراجل الحقد في صدور المشركين بعد أن أخفقت شائعتهم الخبيثة فاندفعوا إليه ليقتلوه، ولكن صفوف المؤمنين كانت تحيط به يفدونه بأرواحهم، وحفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وباءت محاولات المشركين بالفشل.

وتجمعت صفوف المسلمين مرة أخرى حول الرسول وبايعه الجميع على الموت، وما أن أدرك المشركون ذلك حتى انصرفوا بخيلهم ورجالهم إلى مكة وخشوا من خوض معركة أخرى يفقدون فيها النصر الذي حازوه.

الكتيب

في عام 1944 أصدرت قيادة الحلفاء كتيباً ألقت بالآلاف منه بالطائرات على معسكرات الألمان جنوب إيطاليا. وكان هذا الكتيب مطبوعاً باللغة الألمانية ويتضمن نقداً لثلاثة من كبار القادة الألمان تمس موضوعات شخصية تقلل من مكانتهم في نظر جنودهم وتجعلهم يفقدون الثقة بهم. وما أن قرأ الجنود هذه الكتيبات حتى شعروا بالاشمئزاز من سلوك قادتهم الثلاثة وساد المعسكر كله جواً من التذمر والسخط.

وهنا اجتمع القادة الثلاثة وأصدروا كتيباً باللغة الإنجليزية أنكروا فيه كل التهم التي وجهت إليهم ووزعوه على جنود الحلفاء.

لقد وقع هؤلاء القادة في خطأ جسيم حين طبعوا التكذيب باللغة الإنجليزية ووزع على الجنود الإنجليز، فلم يكن هؤلاء الجنود على علم بما احتواه الكتيب الأول، وبذلك أصبح الكتيب الثاني دعاية موجهة ضد الألمان؛ ذلك لأن التكذيب قد فتح أذهان الجنود الإنجليز للطعنات التي وجهت ضد القادة الألمان.

فرقع بصوت هائل

في أيام الحملة الفرنسية على مصر دعا الفرنسيون الشيوخ والعلماء المصريين لزيارة المجمع العلمي الذي أنشأوه في القاهرة.

والذي قام به الفرنسيون من أعمال أمام المصريين هو في النهاية من صميم عمل الحرب النفسية التي تعتمد على إثارة الانفعالات واستغلال هذه الإثارة في عملية الإيحاء؛ فهي تقوم على إلغاء العقل والاهتمام بالجانب الانفعالي من شخصية الإنسان، لأن العدو إذا استطاع أن يتحكم في انفعالات أفراد الشعب كان من السهل عليه بعد ذلك التأثير عليهم بأي نوع من أنواع الإيحاء.

وتطبيقاً لهذه القاعدة استغل نابليون كبار علماء الثورة الفرنسية في استخدام التفاعلات الكيميائية العلمية لاستثارة دهشة أفراد الشعب وتعجبهم لما يحدث أمامهم يرونه ويسمعونه؛ فاستغل العلماء مثلاً تفاعل المواد الكيميائية في إنتاج مواد جديدة ذات ألوان مختلفة وما قد ينتج من هذه التفاعلات من أصوات غريبة وفرقعة عالية، استغل العلماء كل هذا في استثارة دهشة الشعب المصري. وفي هذا بطبيعة الحال إقناع ضمني على مقدرة الفرنسيين في التحكم في الظواهر وإحداث المعجزات.

واليوم تشهد موقفاً قريباً من هذا، أثر التقدم التكنولوجي في فن الدعاية والتأثير، واستخدام كل ذلك بأسلوب من أساليب الحرب النفسية، هذا التقدم لا ينبغي التقليل من أهميته، فكل دولة تسعى في الوقت الحاضر لأن يكون لها نصيبها الموفور في هذا المجال. ولكن الذي يحدث كثيراً أن الإيمان بالرسالة والثقة في أحقية الهدف وثقة الشعب بنفسه وقادته كثيراً ما تغطي الفرق في هذا التقدم التكنولوجي.

حرب الكراهية

حاولت ألمانيا في بداية سنوات الحرب العالمية الثانية أن توقع العداوة والكراهية بين شعوب الحلفاء، فأخذت تذيع عبر إذاعتها الموجهة لبريطانيا أن الشعب الفرنسي شعب منحل لا يعير أدنى اهتماماً للقيم الأخلاقية، وأن الاعتماد عليه ضرب من الخطأ وسوء التقدير، ثم أخذت تروج من ناحية أخرى بين الشعب الفرنسي عن طريق إذاعتها الموجهة إلى فرنسا أن بريطانيا لن تحاول التضحية بجنودها من أجل مساعدة حليفتها فرنسا في

حربها مع الألمان وأن المسئولين الإنجليز يرفعون شعار "على بريطانيا أن تحارب إلى آخر جندي فرنسي".

ثم راحت تذيع على الشعب الأمريكي عن طريق إذاعتها الموجهة إلى غرب المحيط أن ضعف بريطانيا وعدم قدرتها على استمرار الحرب أمام القوة الألمانية سيلقي بالمسئولية على الشعب الأمريكي، وعلى أمريكا أن تدرك أنها قد أقدمت على أخطر خطوة حين أقدمت على التحالف مع دولة ضعيفة مثل بريطانيا دون أن تكون لها مصلحة واضحة في هذه الحرب. وتختم الإذاعة الألمانية حديثها للأمريكيين قائلة: "أيها الشعب الأمريكي لا زالت الفرصة أمامك لإنقاذ مستقبلك من الدمار". وكانت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية تدرك بحق أن قوة الحلفاء في تكتلهم واتحادهم، وكان من الطبيعي أن يركن الألمان إلى تفتيت هذه الوحدة، ولا يكون ذلك إلا عن طريق إيجاد تضارب بين القوى المتحدة في صفوف الحلفاء.

برادوك

خلال الحرب العالمية الثانية أسقط الحلفاء بالطائرات من أربعة إلى خمسة ملايين لفافة من المتفجرات الحارقة الزمنية القوية ذات الحجم الصغير على مناطق في ألمانيا والنمسا؛ حيث كان يتجمع العمال الأجانب، وكانت كل رابطة من المواد المتفجرة تتضمن كارت تعليمات يصف طريقة الاستعمال ومكتوباً بتسع لغات. وسميت هذه العملية (برادوك). وكان الحلفاء يدركون ما بنفوس هؤلاء العمال من ضعف وإكراه وما يحملون في أنفسهم من ميل للتمرد والمقاومة للألمان، كما كانوا يدركون أن هؤلاء العمال كانت تنقصهم أدوات العدوان والتخريب التي لم تكن بطبيعة الحال تصل إلى أيديهم.

كل هذه الحقائق أدركها الحلفاء وكان هذا الإدراك جزءا هاماً في هذه الحرب النفسية لأنهم استغلوها خير استغلال.

رواية الإفك

في هذه القصة إيضاح لفكرة أساسية تبين كيف يستطيع العدو أن يَنفُذَ من نقطة في المجتمع الذي يوجه إليه الحرب النفسية؛ فالعِرض لدى العرب دائماً هو المظهر الهام من مظاهر الحياة، والطعنة في العرض من أقوى أنواع الطعنات، ومن الطبيعي أن يكون أثرها إضعاف تماسك الجماعة التي توجه إليه مثل هذه الدعاية.

ففي هذه القصة شكك العدو في سلوك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وشكك في أخلاقها وطعن المسلمين بذلك في عرضهم. وقد بلغ من هول الشائعة واتصالها القوي بحياة العرب أن بدأ يصدقها حتى المسلمون! إلى أن نزل الوحي يبرئ أم المؤمنين عائشة ويزيل عنها أثر هذه الشائعة.

كما أن في شائعة الإفك مظهر آخر وهو أن العدو الماهر هو الذي يستطيع أن يشكك أفراد الجماعة في قائدهم وزعيمهم. والقائد والزعيم هنا يتمثل في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان ارتباطها بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هو الهدف من هذه الشائعة.

وهناك هدف آخر يضاف إلى أهداف هذه الشائعة الخبيثة وهو محاولة زلزلة الصورة التي أخذتها عائشة بخروجها مع النبي صلى الله عليه وسلم في معركة حربية، تلك الصورة البطولية الرائعة التي تزيد من تماسك قوى جيش المسلمين واندفاعهم لتحقيق رسالتهم، وكأن الشائعة تقول: هذه عائشة التي تدعي البطولة بينكم.

مواطن الضعف

في اليوم الخامس من شهر ديسمبر عام 1942 طبعت الحكومة الألمانية سراً صورة طبق الأصل من صحيفة (واشنطون بوست) الأمريكية واسعة الانتشار، زيفتها بطريقة محكمة ثم هربت الآلاف منها إلى معسكرات جنود الحلفاء داخل القواعد الأوروبية.

وفي هذا العدد نشرت الحكومة الألمانية إلى جانب المواد العادية مقالاً ذيلته بتوقيع كاتب أمريكي معروف، يتضمن نقداً للشعب الألماني يجعل شعوب الحلفاء يتعاطفون معه لأنه يجعلهم في صورة الشعب المغلوب على أمره.

ثم تناول المقال بعد ذلك مواطن الضعف في قوات الحلفاء وبالغ فيها، وهذا هو جانب الخطورة في المقال، لأنه تحدث عن هذه الجوانب وكأنها خلل لا يمكن تداركه، الأمر الذي كاد أن يشيع اليأس في نفوس الجنود الذين كانوا يحاربون حتى ذلك الوقت بروح معنوية عالية، والذين لم تكن لديهم فكرة حول مواطن الضعف التي تحدث عنها المقال والتي لم تكن أبداً على هذا المستوى من المبالغة والتهويل التي صورها به.

البالونات

ابتداء من آخر إبريل حتى أوائل خريف 1954 أُسقطت على الأراضي التشيكية ما يزيد على مائة ألف بالونة مصنوعة من مطاط النيوبرين المملوءة بالهيدروجين ويستطيع كل منها حمل ثقل وزنه 3 أرطال، وبذلك أُسقط بين الشعب التشيكوسلوفاكي حوالي خمسين مليون من النشرات والإعلانات وبطاقات الإنتخابات والصحف المضادة لنظام الحكم.

وفي نفس الوقت، أذاعت أجهزة راديو أوروبا الحرة القائمة في ميونخ بيانات تفسيرية لشعب تشيكوسلوفاكيا عن هذه النشرات والبطاقات، وقد دل ذلك على بداية جهد مستمر يستهدف التأثير على الأوضاع الداخلية في تشيكوسلوفاكيا.

كانت النشرات والبطاقات عبارة عن إعلانات صغيرة الحجم يمكن إخفاؤها في راحة اليد، وهي تتناول ما أسموه بالمطالب العشرة للمعارضة الشعبية، **وجاء فيها:**

(إن البطاقة الإنتخابية للمعارضة الشعبية في تشيكوسلوفاكيا لا تخص صناديق الانتخابات الحكومية؛ بل تخص أيدي المواطنين الذين سيستخدمونها كل بحسب إمكانياته كدليل على تضامن الشعب، وكجزء أول من البرنامج التدريبي ضد النظام وأن تحقيق هذه المطالب العشرة سوف يشكل مرحلة تاريخية على الطريق نحو تشيكوسلوفاكيا الحرة في أوروبا المتحدة).

وقد أدرك مخططو هذه الدعاية أولاً أثر الكلمة المطبوعة على المعتقدات وعلى تغيير الرأي العام والتأثير عليه.

والكلمة المقروءة لها أثر يفوق أثر الكلمة المسموعة لدوام أثرها. فالورقة التي تحوي أفكاراً معينة مطبوعة تكون أطول بقاءً ويمكن ترديدها وتبادلها بسرعة محققة أكبر الأثر في إتجاه التفكير المُعتَقَد.

ولهذا اُستخدمت البالونات مع تعزيزها بإذاعات راديو أوروبا الحرة حتى يكون لها أثر مضاعف. وبفحص هذه النشرات والبطاقات نجدها إعلانات صغيرة الحجم يمكن إخفاؤها في راحة اليد مما يساعد على سهولة الإخفاء وقراءة الإعلان في أمان. كما أن وضعها في بالونات عامل يثير الدهشة، ويجذب الانتباه والحماس في الاستحواذ على الإعلانات

الصغيرة. وبالنسبة لمضمون هذه النشرات والبطاقات نجد أنها تمس مشكلات أساسية في حياة أفراد الشعوب

الهزيمة قبل المعركة

بعد سلسلة طويلة من المعارك بين المسلمين والفرس، تأهب الجيشان للمعركة الفاصلة التي قدر لها أن تدور في ساحة القادسية وهي مدينة تقع جنوبي العراق.

كان الجيش المسلم بقيادة سعد بن أبي وقاص الصحابي الجليل والبطل القرشي رضي الله عنه، والذي طالما جاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته وقاتل دونه قتال الأبطال، وكان واثقاً في قوة جيشه وفي النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين.

أما الفرس فقد دعا عاهلهم ((يزدجرد)) أعظم قادته ((رستم)) لتولي قيادة الجيش الكبير الذي كان يحتشد في المدائن، وقبل رستم هذا التعيين على مضض فقد هزته انتصارات المسلمين وملأ قلبه خوفاً ما سمعه عن إيمانهم وتكالبهم على الموت، وخشي من هزيمة يكون فيها القضاء على سمعته الحربية. فأخذ يلتمس المعاذير للتهرب من هذا المنصب والبقاء في المدائن، ولمَّا أصر يزدجرد على توليته قبل على مضض، وتقدم أخيراً بجيشه الذي بلغ مائة وعشرين ألف مقاتل ليواجه الجيش المسلم الذي لم يزد إلا قليلاً على الثلاثين ألف مقاتل.

وبالرغم من تفوق الجيش الفارسي بنسبة 4 إلى 1 على جيش المسلمين، وبالرغم من تفوق الفرس في المعدات واحتواء الجيش على عدد كبير من الأفيال، فقد ظل قائده رستم مخلوعاً يحاول عبثاً إقناع يزدجرد لإعفائه من منصبه، فلما أدركه اليأس، أخذ يتلكأ في التقدم عسى أن يمل المسلمين من وقفتهم فينصرفون دون قتال.

قال المارشال نوش: "إن المعركة التي ينتصر فيها القائد هي المعركة التي لا يعترف فيها لنفسه أنه قد هزم".

وإذا طبقنا الرأي على معركة القادسية لأدركنا أن هزيمة الفرس حدثت قبل أن تبدأ المعركة، لأن قائدهم رستم أدرك في قرارة نفسه أنه سائر نحو الهزيمة.

وأخيراً سار رستم متباطئاً ومتخاذلاً إلى (الحيرة) ومنها إلى (النجف) تجاه القادسية، حيث

ضرب معسكره، وزاد الطين بلة أن رستم بدأ يرى أحلاماً مزعجة في منامه فتارة يرى الملائكة تقاتله وتارة يراها تختطف أسلحة الفرس وتختم عليها في أعماق المخازن، ولم يكد يصل تجاه القادسية ويرى خلال استطلاعه معسكر المسلمين وما هم عليه من قوة وبأس حتى انهارت شجاعته، وبدلاً من اشتباكه في الحال بمقدمة المسلمين التي كانت سراياها تجول وتصول أمام معسكره، إذا به يكتب إلى سعد بن أبي وقاص ليبعث له بعض أصحابه ليتحدث في الصلح. ولمّا فشلت محاولات الصلح بعد أن حاول رستم عبثاّ إقناع المسلمين بالتنازل عن مطالبهم، أدركه اليأس ولم يجد رستم مفراً من القتال، فهزم شر هزيمة في معركة القادسية، وأصبح الطريق من بعدها مفتوحاً أمام المسلمين إلى (المدائن) عاصمة الفرس.
وانتصرت قصة الصراع بين الإيمان بالرسالة وبين الاعتماد على القوة المادية فقط، فقائد الجيش المسلم سعد بن أبي وقاص يقاتل بدافع الإيمان بالرسالة، وبثقة كبيرة بأن النصر حليفه لأنه يجاهد في سبيل الله، وأن الله وعد النصر عباده المؤمنين. بينما كان الدافع ضعيفاً أو يكاد يكون منعدماً لدى قائد الفرس. الذي كان يدرك افتقار جنوده إلى مثل هذه القوة الداخلية عند المسلمين.
وكان رستم حكيماً في إدراكه بأن الإيمان بالهدف يتفوق كثيراً على الخبرة الحربية والقوة المادية، ولهذا طلب الصلح ولم ينجح، وكانت النتيجة هزيمة الفرس.

احتلال جزيرة كريسماس

في أوائل عام 1942 كانت قيادة الحلفاء تدرك عدم أهمية جزيرة كريسماس. وتركت اليابانيين يحتلونها ضناً بجهد يجب أن يوفر إلى معركة حاسمة أخرى. وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد.

ولكن اليابانيون استغلوا الفرصة وأخذت الإذاعة اليابانية تذيع أخبار وتعليقات عديدة عن جزيرة كريسماس باللغتين اليابانية والإنجليزية، باعتبارها جزيرة ذات أهمية هائلة من حيث الموقع الاستراتيجي البحري. ولم تكن هذه الجزيرة في الواقع على هذه الدرجة من الأهمية الاستراتيجية كما صورتها الإذاعة اليابانية يومذاك، ولكن المسؤولين اليابانيين أرادوا بهذا الأسلوب من التركيز على أهمية الجزيرة إشاعة الفزع أولاً في نفوس جنود الحلفاء وإشعارهم بأن الجيش الياباني قادر في أي وقت على احتلال أي جزء تابع لعدوه، كما أن المسؤولين اليابانيين ثانياً كانوا يهدفون من وراء هذه العملية إلى إدخال الثقة في نفوس

أبناء الشعب الياباني بمقدرة جيشهم على تحدي قوات أعدائهم والاستيلاء على أي موقع يريدون الاستيلاء عليه.

وللحرب النفسية هدفان أساسيان هما: رفع الروح المعنوية للشعب، وإضعاف الروح المعنوية للعدو بما في ذلك قواته المسلحة. ومن هذه الأساليب القيام بأعمال صغيرة لا تكلف كثيراً من الجهد أو الأرواح أو الوقت، ولكنها تظهر الجيش بمظهر من أحرز نصراً كبيراً له أهمية خاصة، فتموه بذلك على أفراد الشعب والشعوب الموالية وتضع نفسها في موقف المنتصر الذي يستطيع أن يحقق أهدافه بسهولة، ويستولي على ما يستطيع إذا أراد. كما يموه على أفراد الجيش المعادي فيقلل من روحهم المعنوية ويزعزع ثقتهم بقواتهم وبقدراتهم على النصر وتحقيق الهدف والرسالة التي يحاربون من أجلها، وقد استخدمت القوات اليابانية هذا الأسلوب البارع بتوجيه دعاية كافية لهذه الجزيرة التافهة، واستطاعت بهذا العمل الضئيل رفع الروح المعنوية لدى اليابانيين، وخفضها لدى شعوب الحلفاء، واستطاعت بدعايتها أن تضفي على هذا العمل مسحة البطولة والقوة.

ولو راجعنا أساليب التلفيق والخداع التي يقوم بها الإسرائيليون في الوقت الحاضر لشاهدنا نماذج من هذا القبيل، فمحاولة القوات الإسرائيلية الاستيلاء على الجزيرة الخضراء التي باءت بالفشل الذريع تشابه إلى حد كبير هذا الأسلوب من الخداع الذي دأبت إسرائيل على التأثير به على الإسرائيليين، ولكنها لم تنجح به في التأثير على الشعب المسلم بحكم ما لديه من وعي وإيمان

الجنرال مينو

وجد الجنرال جاك مينو أن أفضل طريقة يأمن بها مقاومة المصريين للاحتلال الفرنسي هي أن يعتنق الإسلام فعلاً ويتزوج بسيدة مصرية، ووقع اختياره على واحد من العلماء ليصاهره وهو الشيخ الجارم ولكن الشيخ لم يرضَ بأن يكون أداة يستغلها المستعمر لتخدير الشعب، وكانت له ابنتان فأسرع بتزويجهما باثنين من المصريين قبل أن يفاتحه الجنرال رسمياً. وواصل الجنرال خطته حتى استطاع أن يتزوج بسيدة مطلقة اسمها (زبيدة) من أهالي رشيد. وفي 2 مارس سنة 1799 أشهر إسلامه رسمياً (بحضور كل من نقيب الأشراف ومفتي الشافعية ومفتي المالكية ومفتي المذهب الحنبلي في رشيد) وتَسَمى منذ هذه اللحظة باسم عبدالله باشا مينو.

وبعد فترة اغتال البطل الشجاع سليمان الحلبي الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية، وعين الجنرال مينو بدلاً منه. وبالغ في خداع المصريين فسمى ابنه من زوجته زبيدة باسم سليمان، وكان يصلي التراويح في رمضان في المساجد. ولكن كل هذا لم يؤثر على المقاومة التي استمرت مشتعلة في كل مكان، حتى انتهت بخروج الفرنسيين من مصر. ولقد دفعت السيدة زبيدة ثمناً غالياً لزواجها من مينو فقد هجرها في إحدى مواني إيطاليا بعد خروجه من مصر وتركها هناك فريسة للفقر والمرض حتى ماتت.

وكثير من أساليب الحرب النفسية تعتمد على تكوين علاقات انفعالية حميمة بين العدو وأفراد الشعب المعادي، ويلجأ العدو إلى التظاهر بالتعاطف والاهتمام باتجاهات الشعب المعادي، واحترام مبادئهم وعاداتهم وتقاليدهم. والعدو في هذه الحالات من التظاهر يعتمد على خاصية لدى الإنسان. وهي المشاركة الوجدانية، وهي طبيعة لم تكتسب. فنحن نميل لإظهار الود لمن نشعر أنهم يكنون لنا نفس المشاعر ويظهرون لنا نفس الانفعالات.

وفي التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك فلقد أعلن هتلر في الحرب العالمية الثانية أن اسمه هو الحاج محمد هتلر، وكأنه قد اعتنق الإسلام وأكمل أركانه إلى آخرها، وفي ذلك تظاهر باحترام الدين الإسلامي والشعوب التي تعتنقه تقرباً لهم وتعاطفاً معهم، والهدف من ذلك أن تذوب مقاومة الشعوب الإسلامية له ويتقبلونه على أنه ناصر لدينهم ومبادئهم.

الكساد

لم يكد المهاجرون المسلمون يستقرون في يثرب تسودهم روح الإخاء والمحبة والتعاون مع إخوانهم من الأنصار الذين أسلموا، حتى تفجرت دوافع الحقد في نفوس اليهود الذين كانوا يستوطنون هذه المدينة، فراحوا يوغرون صدور أهل يثرب على الرسول والمهاجرين معه باستخدام شائعة خبيثة تعمدوا فيها أن تكون ذات أثر على جانب حيوي في حياتهم.

ذلك أن كثيراً من أهل يثرب يشتغل بالتجارة وكانت لهم علاقات اقتصادية قوية مع تجار مكة، بل أنهم كانو يستفيدون كثيراً من حماية قوافل قريش أثناء مرورها بصحراء يثرب وهي في طريقها إلى الشام أو عائدة منها.

ورأى اليهود في التلويح بخطورة الأوضاع الاقتصادية التي ستواجه تجار يثرب فرصة لتأليبهم على الرسول والمهاجرين، وكان هذا موقفاً تم الاتفاق عليه سراً بين زعماء قريش

وقادة اليهود في المدينة وتحرك اليهود يروجون هذه الشائعة الخطيرة:
(إن قريشاً ستلجأ إلى أسلوب المقاطعة الاقتصادية مع المدينة ومن ثَم تتعرض تجارتها للكساد، وستعدل قريش أيضاً عن الطريق الذي كانت تسلكه لأنها لم تعد تأمن على قوافلها من اعتداء محمد وأتباعه عليها منذ أن حل بالمدينة).

وكاد كثير من تجار المدينة أن يتأثر بهذه الشائعة وأن يقع فريسة لها خاصة وأن منهم من لم يدخل في الإسلام بعد، لولا أن بعض العقلاء من تجار المدينة أنفسهم تنبه إلى هذا الأسلوب الخبيث من الشائعات المغرضة التي كان اليهود يهدفون من ورائها إلى تأليب أهل المدينة على الإسلام والمسلمين.

في هذه القصة نلاحظ استخدام الحرب النفسية بأساليب مختلفة. فقد استخدم اليهود وسيلة الشائعات بهدف تقسيم وحدة المسلمين في المدينة بل وتأليب غير المسلمين على المهاجرين من المسلمين. وقد استخدم اليهود الجانب الاقتصادي مادة للشائعة، وهو جانب له أثره وأهميته لأهالي المدينة التي يعيش كثير من أهلها على التجارة.

وبذلك كان للشائعة قوتها التي تساعد على انتشارها وتساعد على الاهتمام بها، لولا يقظة المسلمين وإيمانهم وتعرفهم على أساليب أعدائهم من اليهود والمشركين.

معركة نهر المارن

في عام 1914 توغل الألمان في فرنسا ولم يتمكن الحلفاء من إيقاف تقدمهم إلا عند نهر (المارن) بالقرب من باريس، وكانت المعركة محتدمة بينهم والحلفاء الذين تقهقروا مسافات طويلة أوهنت قواهم.

وقبل المعركة الحاسمة بأسبوعين وصلت إلى سمع الألمان شائعة مفادها أن جنوداً روساً شوهدوا في إنجلترا، فخاف الألمان أن يكون ذلك مقدمة لنزولهم في بلجيكا ليقطعوا خطوط مواصلات الجيش الألماني فيصاب بكارثة ولذلك خصصوا فرقتين لحراسة الساحل البلجيكي.

وكان هذا أحد العوامل التي ساعدت الحلفاء على كسب المعركة وهزيمة الجيش الألماني الذي كان يتوقع اشتراك الجيش الروسي مع الجيش الإنجليزي ضدهم.

وحقيقة الشائعة هي أن قطاراً مليئاً بجنود (الهايلاندرز) وقف في محطة بجنوب إنجلترا

فدهش أحد الحمالين وسألهم عن المكان الذي جاءوا منه فأجاب أحدهم جئنا من (روسشاير). فالتبس الأمر على الحمال وظنه يقصد روسيا، وروج الشائعة حتى وصلت إلى سمع الألمان فكان أن اتخذت قيادة الجيش الألماني قرارها بتخصيص فرقتين لحراسة الساحل البلجيكي وبذلك خسرت المعركة.

وفي هذه القصة يتضح لنا كيف تنتقل الشائعة من فم إلى فم، ومدى ما يحدث بها من تحريف يبعدها تدريجياً عن الحقيقة. فجنود الهايلاندرز عندما وقف بهم القطار جنوب إنجلترا لم يسمع الحمال عن مكان مجيئهم جيداً أو ربما اختلط عليه الأمر حين ظن أنها روسيا بدلاً من روسشاير، وسواء كان هذا أو ذاك فإنه ناتج عن حالة التوتر النفسي التي كان يعانيها الشعب الإنجليزي في ذلك الوقت.

كما أن الحمال وجد في هذا التحريف ما يتمشى مع رغبة الشعب الإنجليزي في المعاونة، كما وجد فيها أيضاً ما يضفي على الخبر الذي سمعه ورده أهمية تجعله موضع الاهتمام من كل من يسمع الخبر.

ولذلك انتشرت الشائعة حتى وصلت إلى الألمان فصدقوها، واتخذوا قرارهم بتخصيص فرقتين لحراسة الساحل البلجيكي مما أضعف قوتهم.

كوبون للغداء

في الحرب العالمية استخدمت القوات الأمريكية وسيلة تجعل الجنود الألمان ينقضون الأوامر ويحتفظون بالنشرات التي يسقطونها. فقاموا بوضع كوبون داخل النشرات، وكان هذا الكوبون بمثابة جواز مرور عبر خطوط القتال للجندي الذي يعتزم الاستسلام، كما تضمن أيضاً بيان عن وجبات الغداء التي تصرف للجندي الأمريكي ووعد لأسرى الحرب بنفس مقادير الغداء. ولمَّا كان معظم الجنود الألمان في ذلك الوقت مجهدين ويقاسون الجوع لقلة الأغذية فقد احتفظوا بهذه الكوبونات بأمل استخدامها.

وتظهر مهارة الحرب النفسية الأمريكية الموجهة ضد الألمان أن الأمريكيين لم يكتفوا بإلقاء النشرات المثبطة لهمم الجنود الألمان وإضعاف فكرة التضحية والفداء في نفوسهم فحسب، ولكنهم درسوا أيضاً نفسيات الجنود الألمان في هذه الفترة وانتهزوا فرصة الوقت الذي بدأ فيه الجيش الألماني يضيق ذرعاً بالحرب، وقاموا بتمهيد السبيل لهم للتخلص من كل ذلك **وفي هذا الإجراء أمران هامان:**

أولهما: دراسة شاملة لنفسية جنود العدو

والأخرى: توقيت دقيق لتوجيه الدعاية والحرب النفسية.

هذا الإجراء لو تم قبل ذلك لما وجد نجاحاً ولكنه أتى في الوقت المناسب، كما أن وضع الكوبون داخل النشرات يساعد على الرواج والتداول، لأنه منح كل جندي شعوراً بأنه يستطيع أن يتخلص من جميع ما يلقاه من مضايقات وضغوط إذا حصل على منشور داخله كوبون.

وكأن الدعاية الأمريكية تريد أن تقول للجندي الألماني: (أنت سيء الحظ ما دمت في جانب الألمان وستلقى الخير العميم إذا انتقلت إلى حالة أسرى حرب).

وسيلة سهلة

(إننا نستهلك الكثير من القنابل لندمر بها مدفعاً واحداً في يد جندي، أليس الأرخص من ذلك أن نبحث عن وسيلة تسبب اضطراب الأصابع التي تضغط على زناد المدفع في يد هذا الجندي).

في هذا التعبير يتعجب القائد من هذا الجهد والوقت والنفقات التي تبذل في تدمير مدفع واحد في يد جندي واحد، ويتسائل عما إذا كان من الأجدى والأسرع أن نؤثر على نفسية الجنود وإشاعة القلق بين صفوفهم ونشر حالة اليأس وتثبيط الهمم بينهم وقد عبر عن ذلك تعبيراً مختصراً وبليغاً حين قال: (أليس الأرخص من ذلك أن نبحث عن وسيلة تسبب اضطراب الأصابع التي تضغط على زناد المدفع في يد الجندي، وذلك لن يتم إلا بمحاولة التحكم في حالة الجندي النفسية).

فلو تصورنا جيشاً على جانب كبير من التدريب والإمكانيات، ولكنه يحارب دون أن يكون له هدف واضح، أو أنه يحارب وهو في حالة معنوية سيئة، فلا يمكن أن ينتصر ولا تستطيع خبرته وتدريبه وإمكانيته أن تسد وجه النقص في روحه المعنوية.

فإضعاف الروح له تأثيره البالغ في الدافع والحماس والمثابرة والتحمل، وهذه هي العمد الأولى التي عليها قوة الجيش. ولو تصورنا عكس ذلك جيشاً آخر أقل في إمكانيته ولكنه يحارب بهدف واضح يقتنع به، ومن أجل تحقيق رسالة يعتنقها ويحارب بهدف واضح يقتنع به ويحارب في حالة أمن واطمئنان، واثقاً في قادته وفي قدراتهم على قيادة المعركة.

مثل هذا الجيش لابد أن ينتصر، وإذا توفر للجيش الجانبان معاً فكان مزوداً بالإمكانيات وفي حالة أمن واستقرار ومؤمن بالرسالة التي يقاتل من أجلها فإن انتصاره يكون مؤكداً وكاملاً بإذن الله.



هدية العدد ١٧ من مجلة كلمة حق ديسمبر ٢٠١٨